

إضاءات حول البحث التربوي التدخلي

انتقاء وإعداد: أطر المختبر الجهوي للبحث التربوي

التعريف والأهداف:

البحث التدخلي¹² في التربية هو استقصاء منظم يجريه المدرسون و/أو مديرو المؤسسات و/أو الموجهون أو غيرهم من المعنيين في بيئة التدريس والتعلم، يتضمن جمع معلومات عن الطرق التي تدار بها أقسامهم الدراسية ومدارسهم وكفايات التدريس وأساليب تعلم التلاميذ؛ وذلك بغية اكتساب فهم عميق يتيح تطوير ممارسات تأملية، تؤدي إلى وضع خطط عملية لتحسين نتائج التلاميذ، وإحداث تغييرات إيجابية في الممارسات التربوية وفي البيئة المدرسية عموماً.

إنها بحوث يجريها المدرسون أنفسهم، ولا تفرض عليهم بواسطة شخص آخر أو من مصدر خارجي؛ فتشجعهم على أن يكونوا متعلمين دائمين ومنخرطين في سيرورة التكوين الذاتي في صفوفهم المدرسية كباحثين وممارسين في الآن نفسه؛ إذ الغرض من البحوث التدخلية هو حل المشكلات اليومية في المؤسسات التعليمية، والعمل على تطوير المواقف والسلوكات المهنية وجعل التدريس أكثر نجاعة لتحسين التعلم.

إن البحوث التدخلية تدمج وقفات تأملية مهنية في العمل اليومي للأساتذة، وتحت على النظر إلى العملية التعليمية-التعلمية بعين ناقدة؛ وذلك أنها تدفعهم إلى فحص ديناميات الممارسات الصفية، وتأمل أفعال وتفاعلات التلاميذ، وتمحيص المهام المعتادة. وعندما يكتسبون فهماً جديداً عن سلوكياتهم وسلوكيات تلاميذهم من خلال البحث التدخلي، تزداد ثقتهم بأنفسهم حين يتخذون قرارات مستندة إلى معلومات عما ينبغي أو لا ينبغي تغييره، وربط المعرفة السابقة بالمعلومات الجديدة، والتعلم من الخبرة المكتسبة عن وعي، لكي يكونوا مهنيين في مواجهة المشكلات وملتزمين بتحسين ممارساتهم ونتائج تلاميذهم.

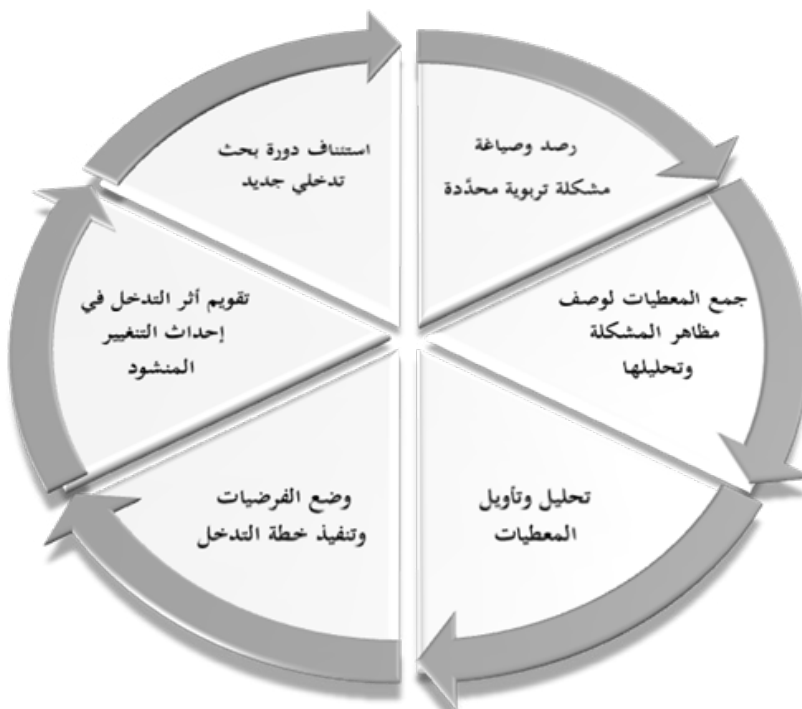
فقد يجد المدرس نفسه أمام تحدٍّ صعب حين يلاحظ، مثلاً، «ضعف الدافعية للتعلم» لدى التلاميذ في القسم؛ وعندما يتأمل ممارساته في التدريس، فإنه يكون بصدد تحديد الاستراتيجيات المعينة أكثر على تقوية تلك الدافعية بشكل يجعل تدريسه أكثر فاعلية ويحسن من مردوديته. وتكمن قوة البحث التدخلي هنا في تحفيز الأستاذ على جمع بيانات عن أداء التلاميذ بانتظام (درجات الاختبارات، اتجاهات التلاميذ، وسلوكهم أثناء أدائهم مهاماً معينة..)، وفي امتلاكه مزيداً من الثقة كي يحاول إيجاد طرق تدريس بديلة مختلفة ومتنوعة، وتحديد استراتيجيات التدريس الأكثر نجاعة بالنسبة للتلاميذ ذوي الدافعية الضعيفة للتحصيل الدراسي.

في البحث التدخلي، إذن، يكتسب الباحثون-الممارسون خبرة ميدانية، ويتملكون كفاءة لمواجهة المشكلات المهنية المستجدة والمستعصية، الأمر الذي يفتح إمكانات نقل الخبرة وتقاسمها للاستفادة منها.

(1) لا بد من الإشارة إلى تعدد التسميات الدالة على هذا النوع من البحث، تبعاً لسياقات البحث وأغراضه وآفاقه العملية: البحث العملي [la recherche-action]، البحث التدخلي [la recherche-intervention]، البحث الإنمائي/التطويري [la recherche-développement]، البحث الإجرائي [la recherche opérationnelle]. وإذ أننا نسعى هنا إلى تقريب هذا الحقل من حقول البحث لمجال التداول التربوي، بحيث تنفادى الدخول في رصد الفروق الدقيقة بين كل منها، فقد وقع اختيارنا -إجرائياً- على تسمية «البحث التدخلي»، كما بدأ ترويجه على الساحة التربوية المغربية مؤخراً، وخاصة في الوثائق الرسمية ذات الصلة.

مراحل البحث التدخلي:

لا يتعلق الأمر هنا بضبط قار ونهائي لمراحل البحث التدخلي، اعتبارا لتباين وتنوع الأدبيات التي تناوله؛ غير أنه يمكن استقراء ستة عناصر تشكل دورة هذا النوع من البحوث: رصد المشكلة، جمع المعطيات لتحليل وتأويل المعطيات، وضع الفرضيات وتنفيذ خطة التدخل، تقويم النتائج، استئناف دورة البحث، كما يظهر في الخطاطة التالية:



1. **رصد المشكلة:** يبدأ البحث التدخلي من الإحساس بالمشكلة، وبعد الرضا عن الأجوبة والحلول القائمة وبالعزم على اكتشاف مسالك جديدة لحلها. من الأهمية بمكان أن يتم رصد مشكلة تفصيلية ووضع أسئلة محدّدة بدقة يمكن التحكم فيها ومن شأن حلها أن يغيّر الوضع إلى ما هو أفضل.
2. **جمع المعطيات:** وذلك بالانطلاق من تشخيص للوضعية عبر مختلف أدوات وتقنيات الاستقصاء الملائمة الكفيلة بتحديد مظاهر وأبعاد المشكلة: مقابلات، مذكرات الأستاذ اليومية، كراسات التلاميذ، استمارات، الملاحظة التشاركية، السير الذاتية، يوميات البحث، تسجيلات صوتية/سمعية بصرية، دراسات، تقارير،...).
3. **تحليل وتأويل المعطيات:** يتم تصنيف المعطيات التي تم جمعها والنظر فيها أخذا بعين الاعتبار إمكانات التحليل الإحصائي وتحليل المضمون في قراءتها وتأويلها من جهة، والسياق المدرسي الخاص الذي يتم فيه تناولها من جهة ثانية.

4. **وضع الفرضيات وتنفيذ التدخل:** وضع فرضيات عمل واضحة وقابلة للتحقق من جدواها، واتخاذ القرارات العملية الكفيلة بتحقيق الغايات المقصودة من البحث التدخل. بحيث إن الفرضيات تكون هي عينها خطة الحل في التدخل المقترح، وعلى أساسها يتم تصميم خطة عمل إجرائية تستهدف إحداث التغيير المنشود، مع تدقيق المتغير الذي يُفترض أن يكون عاملا حاسما في تنفيذ التدخل وتوجيه مساره، ومراعاة الجدول الزمني المتاح لإنجازه.
5. **تقويم النتائج:** التأمل في نتائج التدخل على ضوء مراجعة الأهداف المتوخاة منه، من خلال التحقق من مدى نجاح العمليات المنجزة في إحداث التغيير المنشود. هذا ويُفترض أن تكون النتائج المحصّلة عند نهاية البحث العملي دقيقة بالنظر إلى ضيق المجموعة المقصودة بالتدخل ويُسر ضبط المؤشرات والمتغيرات المعتمدة، مع استحضار ضرورة العمل على توثيق تلك النتائج في شكل تقارير بحث، والتطلع إلى إمكانات نشرها ضمن مجالات متخصصة، وتقاسمها خلال اللقاءات والندوات ذات الصلة.
6. **استئناف دورة البحث:** الانطلاق من النتائج المتوصل إليها والمشكلات الجديدة التي تم رصدها من أجل استئناف دورة بحث تدخل جديد. لذلك، فمهما كانت نقطة الانطلاق بسيطة وتفصيلية، فإن المهم هو الشروع في سيورة التدخل وتطوير الواقع، من خلال التبصر الفردي والتداول الجماعي المتواتر في الأعمال المنجزة والمعارف المحصّلة حولها، واستشراف آفاق العمل لمعالجة الاختلالات والبناء على النجاحات.

اندماج العلم والعمل:

إن الفاعل ضمن البحث التدخل يكون في الآن نفسه باحثا منتجا للمعارف وعاملا على ضوء المعرفة التي ينتجها؛ فالعلم والعمل بالنسبة إليه مندمجان يُضيء كلٌّ منهما الآخر ويستثيره ويوجهه. حيث يتدخل الباحث العامل لتغيير واقع معين غير منفصل عنه بل يعنيه مباشرة؛ وهو أيضا منتج لأدوات مفاهيمية ومنهجية تساعده على فهمه والتأثير فيه أولاً، وتُقدّم إلى الغير باعتبارها مفاهيم ومناهج وأدوات قابلة للتجريب بعد تكييفها في سياقات مغايرة ومن لدن فاعلين آخرين ثانياً.

إن البحث التدخل موقف ينبثق من الواقع؛ وبما أنه يمس مختلف وجوه الالتزام الفردي والاجتماعي، فإنه يغدو مناسبة للتعرف على الذات وعلى الواقع المدرسي المحيط، وللخلق والإبداع الذي يتوخى تغيير أوضاع العيش داخل المدرسة، ومن خلاله داخل المجتمع ثانياً. يمكن أن ينجز البحث التدخل من طرف فاعل بمفرده، كأن يتصدى أستاذ لتجاوز مشكلات عملية تفصيلية تتعلق بجانب من جوانب تدريس المادة أو بتدبير جماعة الفصل مثلاً؛ ويمكن أن يتم في إطار سيورة تنخرط فيها جماعة من الفاعلين في المدرسة، وفق منطق تشاركي تعاوني.

فضلا عن ذلك، يتميز هذا النوع من البحوث عن الأنواع السائدة للبحث بطائفة من الخواص المميزة تساعد على رسم حدود موضوعه وهدفه والفاعلين فيه والمستهدفين من إنجازه، وطبيعة النتائج والآثار المنتظر التوصل إليها، كما يظهر من خلال الجدول التقريبي التالي:

مقارنة بين البحث التدخلي وبين البحث الأساسي أو التطبيقي

البحث التربوي التدخلي	البحث العلمي الأكاديمي (الأساسي أو التطبيقي)
من أهدافه حل مشكلات محددة في الزمان والمكان وتحسين الأداء والممارسة العملية بشكل عام	من أهدافه إغناء النظريات وتطوير العلم والتكنولوجيا.
لا يستند الباحث على نموذج أو نظرية، ولا يندرج البحث بالضرورة في إطار أية منظومة فكرية.	يستند الباحث على نموذج أو نظرية ويندرج البحث في إطار منظومة فكرية معينة.
يتعامل بمرونة مع شروط المنهجية العلمية، دون أن يعني ذلك العشوائية.	يلتزم البحث بشروط المنهجية العلمية الصارمة.
يكون اللجوء إلى تقنيات التحليل الإحصائي في مستوياتها الأولية.	غالبا ما يلجأ الباحثون إلى تقنيات متطورة من التحليل الإحصائي.
لا يُشترط تعميم نتائجه حتى في وضعيات متشابهة، إذ الرهان فيه تغيير الواقع المحسوس للباحثين-الممارسين.	يمكن تعميم نتائجه على وضعيات جديدة، أي إنتاج معرفة معممة وصياغة قوانين، تسهم في بناء المعرفة النظرية ومراكمتها.
لا ينجز في العادة من طرف الأكاديميين وليس بالضرورة تحت إشرافهم، بل يقوم به الأساتذة/الممارسون في الميدان التربوي والبيئة التعليمية.	عادة ما يقوم به أكاديميون أو ينجز تحت إشرافهم أو في مؤسسات عليا أو جامعية أو مختبرات أو من طرف طلاب الدراسات العليا.
الأساتذة والمتعلمون والأطراف الفاعلة في قطاع التربية والتكوين أطراف أساسية في إدراك المشكلة والمساهمة في حلها.	حل الإشكاليات البحثية يبقى شأنا خاصا بالباحثين المتخصصين.

مراجع للتوسع:

أ- بالعربية

- الأندلسي، خالد [2013]. البحث التدخلي: علوم، تنمية، ديموقراطية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- بارسون، ريتشارد وكمل، براون [2005]. المعلم. ممارس ومتأمل وباحث إجرائي، ترجمة: رشيد الحسنائي، العين: دار الكتاب الجامعي.
- حيدر عبد اللطيف حسين [2004]. البحث الإجرائي: بين التفكير في الممارسة المهنية وتحسينها، دبي: دار القلم.

- الخالدي، موسى ووهبة، نادر [2000]. «البحوث الإجرائية مع معلمات ما قبل الخدمة»، نشرة رؤى تربوية، العدد 1، يونيو 2000، رام الله: مركز القطان للبحث والتطوير التربوي.
- الخالدي، موسى [2004]. «كيف يمكن للمدرسين الاستفادة من البحوث الإجرائية في تطوير أدائهم وحل مشاكلهم؟»، نشرة رؤى تربوية، العدد 13، يناير 2004، رام الله: مركز القطان للبحث والتطوير التربوي.
- شفيقي، فؤاد [2012]. «إرساء آليات البحث التربوي في منظومة التربية والتكوين»، الجامعة التربوية الأولى لأساتذة المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، الوحدة المركزية لتكوين الأطر-إتقان، إفران: جامعة الأخوين.
- عابد، تغريد باجس [2005]. «البحث الإجرائي: مكانته ومميزاته ودوره. تجارب معلمين»، نشرة رؤى تربوية، العدد 16، يناير 2005، رام الله: مركز القطان للبحث والتطوير التربوي.
- العمري، عطية محمد [2007]. البحث الإجرائي رؤية للتطوير والنمو المهني، شبكة المعلم بدولة قطر: <http://teachers.net.qa/content/research/detail/1143>
- كابور أهلاوات وآخرون [1995]. البحث التربوي التطبيقي، مسقط: منشورات وزارة التربية والتعليم.
- ماكيف، ج. [2001]. البحث الإجرائي من أجل التطور المهني، ترجمة نادر وهبة، سلسلة نشرات حكومية:
- <http://teachers.org/index.php?action=publication&val=book&name=DF%CA%&lang=ar>
- وزارة التربية والتعليم العالي [2009-2010]. خطوات البحث الإجرائي ومبرراته: دورة تهيئة المعلم الجيد، فلسطين: الإدارة العامة للإشراف والتأهيل التربوي.

ب- بغير العربية

- ADELMAN, C. [1993]. «Kurt Lewin and the origins of Action-Research», in *Educational Action-Research Revue*, Vol. n°1, pp.7 - 24.
- ALLARD-POESI, Florence et PERRET, Véronique [2004]. *La recherche-action*, e-thèque, col. Méthodes quantitatives et qualitatives. <http://www.e-theque.com/>
- ANADON, M. et SAVOIE-ZAJC, L. (2007). « La recherche-action dans certains pays anglo-saxons et latino-américains : une forme de recherche participative », Dans Marta Anadón (dir.), *Recherches participatives : multiples regards*, Ste-Foy, QC : Presses de l'Université du Québec, pp. 13 - 30.
- ARGYRIS, C. et SCHÖN, D. [2002]. *Apprentissage organisationnel : théorie, méthode, pratique* (traduit par M. Aussanaire et P. Garcia-Melgares). Bruxelles, Belgique : De Boeck.
- ARGYRIS C., PUTNAM R. et MACCLAIN Smith D. [1985]. *Action Science: Concepts, Methods, and Skills for Research and Intervention*, San Francisco: Jossey-Bass.
- BARBIER R. [1996]. *La Recherche Action*, Paris: Economica, col. Anthropos.
- BERGER, G. [2003]. « La recherche-action : épistémologie historique », Dans P. M. Mesnier et P. Missotte (dir.), *La recherche-action : une autre manière de chercher, se former, transformer*, Paris, France : L'Harmattan, pp. 13 - 26.
- BENKIRANE, Réda [2002]. *La complexité, vertiges et promesses*, Paris : Éditions Le Pommier.

- BLASE, J. et KIRBY, P. C. [2010]. *Des stratégies pour une direction scolaire efficace, motiver et inspirer les enseignants* (adapté par M. Leclerc; traduit par V. Duguay), Montréal, QC : Chenelière.
- BOYER, M. [2000]. *La direction des écoles et l'autodéveloppement, une recherche-action*. Thèse de doctorat, Faculté d'éducation, Université de Sherbrooke, Sherbrooke.
- CALLON M. et LATOUR B. (Éds) [1991]. *La science telle qu'elle se fait*, Paris: La Découverte.
- CLENET, Jean [2002]. *L'ingénierie des formations en alternance, « Pour comprendre, c'est-à-dire pour faire »*, Paris : l'Harmattan.
- COENEN, H. [2001]. « Recherche-action : rapports entre chercheurs et acteurs », dans G. A. Gilles et A. Lévy (dir.), *La recherche-action : perspectives internationales*, Paris, France : Eska, pp. 19 - 32.
- DAVID A., HATCHUEL A. et LAUFER R. (Éds.) (2000), *Les nouvelles fondations des sciences de gestion*, Paris: Vuibert.
- DE LANDSHEERE, G. [1982]. *Introduction à la recherche en éducation*, Paris : A. Collin-Bourrelle, 5^e éd.
- DE LANDSHEERE, G. [1986]. *La recherche en éducation dans le monde*, Paris: PUF.
- DEMUNTER, P. [1994]. « Recherche-action de type stratégique et évaluation des actions et des dispositifs de formation », *Les Cahiers du Gueep : recherches-actions : Méthodes et pratiques de formation*, 26, pp. 39 - 57.
- DESMARAIS Danielle, BOYER Michel et DUPONT Martine [2005]. « À propos d'une recherche-action-formation en alphabétisation populaire : dynamique des finalités et des positions des sujets-acteurs », *Revue des sciences de l'éducation*, vol. 31, n° 2, pp. 273-296-. <http://id.erudit.org/iderudit/012756ar> ; Document téléchargé le 3 avril 2011 06:52.
- DIND, D. [1982]. « La recherche-action en question », in *La recherche-action, enjeux et pratiques, Revue internationale d'action communautaire*, 5/ 54.
- DIONNE, H. [1998]. *Le développement par la recherche-action*, Montréal : L'Harmattan.
- DONNAY, J. et CHARLIER, É. [2006]. *Apprendre par l'analyse de pratiques, initiation au compagnonnage réflexif*, Namur, Bruxelles/Sherbrooke, QC : Presses universitaires de Namur/Éditions CRP.
- FALS-BORDA O. et RAHMAN M. A. (Eds.) (1991), *Action and Knowledge: Breaking the Monopoly with Participatory Action Research*, New York: Apex.
- FERRANCE, Eileen. *Action Research, Themes In Education*, LAB, Northeast and Islands Regional Educational Laboratory at Brown University, 2000 Brown University.
- GERARD, Christian, GILLIER, Jean-Philippe, (Coordinateurs), [2002]. *Se former par la recherche en alternance*, Paris : L'Harmattan.
- GERARD, Christian [2005]. *Diriger dans l'incertain, Pour une pragmatique de la problématisation*, Paris: L'Harmattan.
- GERARD, Christian [2006]. « Action-recherche / recherche-action en formation. Conjoindre l'expérience, l'art et la science afin de former à (se) former », in *Esprit critique*, VOL. 08, N°01, ISSN 17051045-, consulté sur Internet: <http://www.espritcritique.org>
- GOYETTE, G. et LESSARD-HEBERT, M. [1987]. *La recherche-action : ses fonctions, ses fondements, son instrumentation*, Sillery : Presses de l'Université du Québec.
- GREENWOOD, D. J. et LEVIN M. [1998]. *Introduction to Action Research, Social Research for Social Change*, London: Sage.

- GUAY, M. H. et PRUD'HOMME, L. (2011). « La recherche-action », dans T. Karsenti et L. Savoie-Zajc (dir.), *La recherche en éducation : étapes et approches*, 3^{ed.}, Montréal, QC : ERPI, pp. 183 - 211.
- GUILLEMETTE, Suzanne et SAVOIE-ZAJC, Lorraine [2013]. « La recherche-action et ses rapports de coconstruction de savoirs et de formation dans une perspective de professionnalisation entre acteurs praticiens et chercheurs », in *Formation et profession*, 20(3), pp. 41 - 53.
- HALLINGER, P. [2003]. "Leading educational change : reflections on the practice of instructional and transformational leadership", *Cambridge Journal of Education*, 33(3), 329- 352.
- HESS, R [1983]. « Histoire et typologie de la recherche-action », in *Revue Pour 90*, Toulouse : Éditions Privat.
- KING, J. et LONNQUIST, M. P. [1992]. A review of writing on action research (1944-present). Repéré à <http://www.eric.ed.gov/PDFS/ED355664.pdf>
- LE BOTERF, G. [2007]. *Professionnaliser, le modèle de la navigation professionnelle*, Paris, France : Éditions d'Organisation.
- LIU, M. [1997]. *Fondements et pratique de la recherche-action*, Paris : L'Harmattan.
- MASCIOTRA, D. et MEDZO, F. [2009]. *Développer un agir compétent, vers un curriculum pour la vie*, Bruxelles, Belgique : De Boeck.
- MEIRIEU, Ph. [1988]. « Les acquis de la recherche-action: rigueur et pertinence », in *Recherches impliquées, recherches-actions: le cas de l'éducation*, M-A Hugon, Cl. Seibel, et Bruxelles: De Boeck éd's, Université.
- MCTIGHE, J. and EMBERGER, M. [2000] *Understanding by Design and Action Research*. Alexandria, Va.: Association for Supervision and Curriculum Development.
- MILLS, G. A [2003]. *Guide for the Teacher Researcher*. Upper Saddle River, N.J.: Merrill Prentice Hall, 2003.
- MORIN, Edgar, LE MOIGNE, Jean-Louis, [1999]. *L'intelligence de la complexité*, Paris, L'Harmattan.
- PERRENOUD, Philippe [1994]. *La formation des enseignants entre théorie et pratique*, L'Harmattan.
- RHEAUME, Jacques. [1982]. « La recherche-action : un nouveau mode de savoir? » in *Sociologie et sociétés*, vol. 14, n° 1, pp. 4351-. <http://id.erudit.org/iderudit/006775ar>
- SAVOIE-ZAJC, L. [2001]. « La recherche-action en éducation : ses cadres épistémologiques, sa pertinence, ses limites », Dans M. Anadon et M. L'Hostie (dir.), *Nouvelles dynamiques de recherche en éducation*, Ste-Foy, QC : Presses de l'Université Laval, pp. 15 - 49.
- SCHÖN, Donald, [1983]. *The Reflexive Practitioner, How Professionals Think in Action*, U.S.A. Basic Books.
- SCHÖN, Donald, [1994]. *Le praticien réflexif. A la recherche du savoir caché dans l'agir professionnel*, Montréal : Les Editions Logiques.
- VAN DER MAREN, M. J. [1995]. *Méthodes de recherche pour l'éducation*. Montréal : Presses de l'Université de Montréal –De Boeck.
- VAN TRIER W. E., [1980]. La recherche-action. In: *Déviance et société*, Vol. 4 -N°2. pp. 179 - 193.
- VERSPIEREN, Marie-Renée [1991]. Recherche-action de type stratégique et science(s) de l'Education, Bruxelles-Paris : Co-édition Contradictions/l'Harmattan.
- VERSPIEREN, Marie-Renée [1997]. « Pertinence de la recherche-action dans le domaine des sciences de l'éducation », *Etud. Rech. Syst. Agraires Dév.*, 30, pp. 115 - 126.
- VIOLET, Dominique, [1996]. *Paradoxes, Autonomie et réussites scolaires*, Paris : l'Harmattan.

ج- موارد إلكترونية

- <http://libertaire.free.fr/Recherche-Action02.html> (14.11.2005)
 - <http://portal.unesco.org/education/fr/ev.php>
 - <http://www.recherche-action.fr/> (14.11.2005)
 - In: http://www.recherche-action.fr/RA_Compar.html#RA_Compar (14.11.2005)
 - LISRA – Questions fréquentes sur la recherche-action, <http://labo.recherche-action.fr>
 - [URL_ID=11833&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html](http://www.recherche-action.fr/URL_ID=11833&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html) (14.11.2005)
 - www.teachersnetwork.org/tnli/research
- الوحدة المركزية لتكوين الأطر [2012]. المجزوءات المستعرضة لدعم التكوين من أجل تعلم فعال، 4. البحث الإجرائي: projetitqane.ma/ar/images/stories/pdf/pdfzk/part2/4.pdf